

## الإمام علي في شعر الشاعرات الأحسائيات..

الإمام علي في شعر الشاعرات الأحسائيات!..

أ. هاني الحسن

تعتبر شخصية الإمام علي عليه السلام من أعظم الشخصيات إنسانيا في شتى المجالات ومختلفها بأن تكون محور أو محل للعديد من الأطروحات ، فلديها من الإلهام ما ليس لدى غيرها ..

فمن ناحية شعرية وشاعرية تغنى الكثير من الشعراء الهجريين الأحسائيين بها ، ولكن ربما لم يسلم الضوء على شعر الشاعرات وربما لم يصل لمسامع الكثيرين منا ما قالته الشاعرات الأحسائيات في شخصية الإمام علي عليه السلام ..

وهنا سأعرض لبعض صور الإمام علي عليه السلام من أشعار بعض الشاعرات كإقتباسات شاهدة على هيئة حضور شخصية الإمام لديهن ..

وأنوه إلى أن ما سأشير إليه لا يعتبر حصرا لما كتبه الشاعرات كل الشاعرات الأحسائيات بل هو اختبار حسب النصوص المتوفرة، ولا يعد كذلك منحى توجهاتهن وصور الإمام في كل قصائدهن، ولكن هو إشارة لما طرقته كطرق مختلف أسلوبا وتوجها حسب هذه العينة والنماذج المقدمة، فمن ناحية أخرى ربما تقدم نفس القصائد صوراً مختلفة ومتنوعة أيضاً، لذا اعتمدت التناول من جهة على الأقل مختلفة حسب النصوص التي لدي وهي قليلة ..

فالشاعرة الرسالية السيدة هاشمية اليوسف تناولت النظرة النصية والعقدية في الإمام علي من ناحية روائية موروثية وتاريخ بنيت عليه عقائد كثيرة عن طريق الروايات التي تؤكد حقيقة تواجد الإمام علي عليه السلام في قصيدة تلقنها لابنها ، وتقول:

في ساق العرش رأيتك قد

أشرفت بنورٍ يتسطر

ورأيتك في كلماتٍ من

أملٍ ما زالت تتكرر

أسماءٌ علاّمها الباري

وتلاها آدمٌ فاستبشر

وسفيئةٌ نوحٍ إذ ثبتت

والموجُ جبالٌ تتكسر

والنارُ انصاعت وانحسرت

وخليلٌ بها يجأر

فمن الواضح أن التنشئة الشعرية المصبوغة بصبغات عقديّة وتاريخية موجودة لدى الشاعرة السيد هاشمية وقد حرصت على نقلها باعتبار أن سيرة الإمام علي مدار تعليم وتلقين تم توظيفها شعريا .

بينما تقدم الشاعرة المعروفة والمبدعة تهاني الصبيح صورة العدل والحنو على الأيتام والزهد في نظرتها للإمام علي وتفول في قصيدتها :

تنامُ في عينك الأيتامُ آمنه

وأنت ترقدُ في عين النبواتِ

ويستحي الجوع منك اليومَ تطعمهُ

مادمت تطوي ثلاثاً دون أقواتِ

فراشكُ الصوف يشكو منك جفوتهُ

كي تبعثَ الصبحَ حياً بين أمواتِ

وتنحتُ العدل ميزاناً لدى أُممٍ

تتبسّعت فيك ميزان الرسائلِ

فهنا مزيج من الصفات الوجدانية ونمط عيش الحاكم الزاهد والعاقل والعابد أيضا وهي صور تركزت أكثر فترة حكمه الإمام السياسية ، وهي صورة ممكن اعتبارها متنوعة كونها تحمل عدة سمات باعتبار الإمام رمزا .

ومن ناحية مختلفة أيضا فهنا هي الشاعرة المتألقة حوراء الهميلي تقدم صورة سامية للإمام بقولها في قصيدة عروج :

هربتُ منَ الأنا عَلاَّيَ أراني!

وجدتُك يا عليُّ ضياءَ فجرِي!!

إلى الملكوتِ كم أهوى عروجا

يُعتِّق ذاتيَ الولهي بطُهرِ

لِيَغْسَلَ مَهْجَتِي مِنْ طِينِ ذَنْبٍ

لِأَحْرَمٍ كَالْمَلَكِ بِإِلَّيْلٍ قَدْرٍ!

هذه الصورة قائمة على ذوبان الأنا الفردية التي لدى الشاعرة وقد استقت من الإمام علي عليه السلام لما في شخصيته ما ترسخ في ذهن الشاعرة ثقافة وإرث ديني، وهي تضيف كذلك بأن الإمام علي وسيلة مرقاة لعالم الملكوت والعروج لأعالي الأبراج الإلهية ، والصلوق بفكرة التطهير المعنوي الذي تضيفه شخصية الإمام علي ، فالخروج من الطينية والتجرد من ثقل التراب كفيل بأن يصعد الروح على أجنحة الملائكة.

أما الشاعرة القادمة بشعر واعد آيات العبداء فلها فلسفة العشق في طَرَقها الشعري حين تقول في قصيدة ( عشق لا شريك له ) :

وافرش حصيرك في النفوس فخوصه

من أضلّع الأحباب والعشّاق

واكوى القلوب فلا يسمّى بالهوى

ذاك الهوى الخالي من الإحراق

أنّى ذكرتك فالقلوب جليستي

وجميع أشواق الأنام رفاقي

فهي تتناول الإمام علي كمظلة للعشاق يجتمعون تحتها تظللهم بظلمها الوارف، بل إنها تجعل من الاحتراق ممارسة عاطفية لهذا الهوى العذب، ولعمري إنها صورة بديعة التي اقتنصتها الشاعرة آيات بمجالسة القلوب ومرافقة الأشواق في هذا العشق الذي يقاسمونه ..

إذن رأينا الإمام علي عليه السلام الوجود النوراني والعقدي والتلقيني الذي ينشأ عليه الطفل كما قدمته الشاعرة السيدة هاشمية اليوسف ويتميز بأنه صالح تعليميا ورساليا ، فالإمام علي هو المعلم الرسالي، ولكن هذه النظرة تقليدية وخاصة للنصوص والإطار الموروث وتقل فيها فرص الإبداع والتجديد برغم أدوارها السامية، ويمكن فهم ذلك وإرجاعه للدور الوظيفي المناط بمهمة المعلم على أن السيدة الشاعرة أدت المهمة رغم صعوبتها.

كذلك الإمام علي حاضر شخصية العادل في حكمه الزاهد في الدنيا وهو حضور له إسقاطاته لمختلف المذاهب والآراء ، وهذا الحضور جسّدته الشاعرة تهاني وأضفت عليه لمحات جمالية في شخصية الإمام وسماته بصفته الرمز ، وصورة الرمز خاصة لمفاهيم من البطولة والرجولة وغيرها من القيم النبيلة.

بينما حضور الإمام علي في قصيدة الشاعرة حوراء حضورا معنويا في جانبه الإلهامي والروحي ، وفيه خروج عن النمطية إلى حد كبير في أسلوب تقديمه وإن كان ذلك وفق إطاره الديني تقريبا.

وحضور الإمام علي في قصيدة الشاعرة آيات حضور عاطفي للمعشوق الذي يلتف حوله العشاق ويتخذونه مظلة يستمدون منها المشاعر والأحاسيس المصاحبة للعشق وهو شعور مركزه المعشوق ولا تبرر ذلك دينيا بل تستخدم نوعا من التبرير المنصب حول العشق وطقوسه.

هذه عينة فيها صور للإمام علي تنوعت بين المعلم الرسالي والرمز والملهم الروحي وكذلك المعشوق، وأعتقد أنه لدى الشاعرات الأخريات ما يشبه عموما أغلب هذه الصور التي تتسم بالتقليدية في الكثير من التعاطي الديني، ولكن التجديد والإبتكار من الشاعرات مطلوب حتى يكون ظاهرة فيهن، وأعتقد أنه ما يزال تواجدهن وحضورهن يحتاج للمزيد من الدعم ، والنقد الهادف وذلك بحكم التفاوت في فرص الظهور إما بحسب الموهبة الحقيقية أو الذكاء الاجتماعي أو استغلال الفرص أو وجود ظروف اجتماعية مشجعة ، ولست هنا في سبيل مناقشة هذه الأمور بقدر الخلوص بالقول إلى أن هذه صور مشجعة للتنوع في الأسلوب واختلاف المدارس على الرغم

من عدم وجود مدارس متباينة بشكل جوهري ملموس في ما عرضته .

وأعتقد أن لعمر التجربة الشعرية ولاختيار النصوص دور في الانطباعات المستخلصة وفقا للقوائد المقدمة.

ولكن الأسئلة التي أطرحتها ليس على الشعراء السابقين فحسب بل السؤال لعموم الشعراء والمهتمين بالشعر عموماً :

هل أن الشعراء قادرين على عدم الانطلاق دائماً من أسس دينية أو عقدية ضيقة بحث في قصائدهم ؟

هل أنهم قادرين على الانفتاح اللغة الحديثة وكافة مدارس الشعر والاستفادة منها في طرق التجديد والصور المبتكرة؟

هل وصل الشعراء بحكم عددهم الأكثر وتنوعاتهم المختلفة أكثر قبل الشعراء بمراحل ؟ أم أنهم كذلك ما يزالون في طور التطور والنمو في هذا المجال..

أعتقد بأن الأيام كفيلة بالإجابة على ذلك .

فمن ناحية شعرية وشاعرية تغنى الكثير من الشعراء الهجريين الأحسائيين بها ، ولكن ربما لم يسلم الضوء على شعر الشعراء وربما لم يصل لمسامع الكثيرين منا ما قالته الشعراء الأحسائيين في شخصية الإمام علي عليه السلام ..

وهنا سأعرض لبعض صور الإمام علي عليه السلام من أشعار بعض الشعراء كإقتباسات شاهدة على هيئة حضور شخصية الإمام لديهم ..

وأنوه إلى أن ما سأشير إليه لا يعتبر حصراً لما كتبه الشعراء كل الشعراء الأحسائيين بل هو اختبار حسب النصوص المتوفرة ، ولا يعد كذلك منحى توجهاتهم وصور الإمام في كل قصائدهم ، ولكن هو إشارة لما طرقت كطرق مختلف أسلوباً وتوجهاً حسب هذه العينة والنماذج المقدمة ، فمن ناحية أخرى ربما تقدم نفس القصائد صوراً مختلفة ومتنوعة أيضاً ، لذا اعتمدت التناول من جهة على الأقل مختلفة حسب النصوص التي لدي وهي قليلة ..

فالشاعرة الرسالية السيدة هاشمية اليوسف تناولت النظرة النصية والعقدية في الإمام علي من ناحية  
روائية موروثية وتاريخ بنيت عليه عقائد كثيرة عن طريق الروايات التي تؤكد حقيقة تواجد الإمام علي  
عليه السلام في قصيدة تلقنها لابنها ، وتقول:

في ساق العرش رأيتك قد

أشرقنت بنورٍ يتسطّر

ورأيتك في كلماتٍ مـنّ

أملٍ ما زالت تتكرر

أسماءٌ علّمها الباري

وتلاها آدمٌ فاستبشر

وسفينةٌ نوحٍ إذ ثبتت

والموجُ جبالٌ تنكسّر

والنارُ انصاعت وانحسرت

وخليلٌ اّ بها يجأرُ

فمن الواضح أن التنشئة الشعرية المصبوغة بمصبغات عقدية وتاريخية موجودة لدى الشاعرة السيد هاشمية  
وقد حرصت على نقلها باعتبار أن سيرة الإمام علي مدار تعليم وتلقين تم توظيفها شعريا .

بينما تقدم الشاعرة المعروفة والمبدعة تهاني الصبيح صورة العدل والحنو على الأيتام والزهد في

نظرتها للإمام علي وتقول في قصيدتها :

تنامُ في عينك الأيتامُ آمنةٌ

وأنت ترقدُ في عين النبواتِ

ويستحي الجوع منك اليومَ تطعمهُ

مادمت تطوي ثلاثاً دون أقواتِ

فراشكُ الصوف يشكو منك جفوتهُ

كي تبعثَ الصبحَ حياً بين أمواتِ

وتنحتُ العدل ميزاناً لدى أُممٍ

تتبسّعت فيك ميزان الرسائلِ

فهنا مزيج من الصفات الوجدانية ونمط عيش الحاكم الزاهد والعاقل والعابد أيضا وهي صور تركزت أكثر فترة حكمه الإمام السياسية ، وهي صورة ممكن اعتبارها متنوعة كونها تحمل عدة سمات باعتبار الإمام رمزا .

ومن ناحية مختلفة أيضا فهنا هي الشاعرة المتألقة حوراء الهميلي تقدم صورة سامية للإمام بقولها في قصيدة عروج :

هربتُ مِنّ الأنا عَلاَّي أُراني!

وجدتُك يا عليُّ ضياءَ فجري!!

إلى الملكوتِ كم أهوى عروجاً

يُعتِّق ذاتيَ الولهي بطُهرِ

لـيغسلَ مهجتي مِنّ طينِ ذنبي

لأحرمَ كالملاكِ بـلايِلِ قَدْرِ!

هذه الصورة قائمة على ذوبان الأنا الفردية التي لدى الشاعرة وقد استقت من الإمام علي عليه السلام لما في شخصيته ما ترسخ في ذهن الشاعرة ثقافة وإرث ديني، وهي تصيف كذلك بأن الإمام علي وسيلة مرقاة لعالم الملكوت والعروج لأعالي الأبراج الإلهية ، واللموق بفكرة التطهير المعنوي الذي تصيفه شخصية الإمام علي ، فالخروج من الطينية والتجرد من ثقل التراب كفيل بأن يصعد الروح على أجنحة الملائكة.

أما الشاعرة القادمة بشعر واعد آيات العبداء فلها فلسفة العشق في طَرقها الشعري حين تقول في قصيدة ( عشق لا شريك له ) :

وافرش حصيركَ في النفوسِ فخوصهُ

مِنّ أضلاعِ الأحبابِ والعشِّاقِ

واكوب القلوبَ فلا يسمي بالهوى

ذاك الهوى الخالي من الإحراق.

أنسى ذكركَ فالقلوبُ جليستي

وجميعُ أشواقِ الأنامِ رفاقي

فهي تتناول الإمام علي كمظلة للعشاق يجتمعون تحتها تظللهم بظلمها الوارف، بل إنها تجعل من الاحتراق ممارسة عاطفية لهذا الهوى العذب، ولعمري إنها صورة بديعة التي اقتنصتها الشاعر آيات بمجالسة القلوب ومرافقة الأشواق في هذا العشق الذي يقاسمونه ..

إذن رأينا الإمام علي عليه السلام الوجود النوراني والعقدي والتلقيني الذي ينشأ عليه الطفل كما قدمته الشاعرة السيدة هاشمية اليوسف ويتميز بأنه صالح تعليميا ورساليا ، فالإمام علي هو المعلم الرسالي، ولكن هذه النظرة تقليدية وخاصة للنصوص والإطار الموروث وتقل فيها فرص الإبداع والتجديد برغم أدوارها السامية، وممكن فهم ذلك وإرجاعه للدور الوظيفي المناط بمهمة المعلم على أن السيدة الشاعرة أدت المهمة رغم صعوبتها.

كذلك الإمام علي حاضر شخصية العادل في حكمه الزاهد في الدنيا وهو حضور له إسقاطاته لمختلف المذاهب والآراء ، وهذا الحضور جسّدته الشاعرة تهاني وأضفت عليه لمحات جمالية في شخصية الإمام وسماته بصفته الرمز ، وصورة الرمز خاصة لمفاهيم من البطولة والرجولة وغيرها من القيم النبيلة.

بينما حضور الإمام علي في قصيدة الشاعرة حوراء حضورا معنويا في جانبه الإلهامي والروحي ، وفيه خروج عن النمطية إلى حد كبير في أسلوب تقديمه وإن كان ذلك وفق إطاره الديني تقريبا.

وحضور الإمام علي في قصيدة الشاعرة آيات حضور عاطفي للمعشوق الذي يلتف حوله العشاق ويتخذونه مظلة

يستمدون منها المشاعر والأحاسيس المصاحبة للعشق وهو شعور مركزه المعشوق ولا تبرر ذلك دينيا بل تستخدم نوعا من التبرير المنصب حول العشق وطقوسه .

هذه عينة فيها صور للإمام علي تنوعت بين المعلم الرسالي والرمز والملهم الروحي وكذلك المعشوق، وأعتقد أنه لدى الشاعرات الأخريات ما يشبه عموما أغلب هذه الصور التي تتسم بالتقليدية في الكثير من التعاطي الديني، ولكن التجديد والإبتكار من الشاعرات مطلوب حتى يكون ظاهرة فيهن، وأعتقد أنه ما يزال تواجدهن وحضورهن يحتاج للمزيد من الدعم ، والنقد الهادف وذلك بحكم التفاوت في فرص الظهور إما بحسب الموهبة الحقيقية أو الذكاء الاجتماعي أو استغلال الفرص أو وجود ظروف اجتماعية مشجعة ، ولست هنا في سبيل مناقشة هذه الأمور بقدر الخلوص بالقول إلى أن هذه صور مشجعة للتنوع في الأسلوب واختلاف المدارس على الرغم

من عدم وجود مدارس متباينة بشكل جوهري ملموس في ما عرضته .

وأعتقد أن لعمر التجربة الشعرية ولاختيار النصوص دور في الانطباعات المستخلصة وفقا للقوائد المقدمة .

ولكن الأسئلة التي أطرحتها ليس على الشاعرات السابقات فحسب بل السؤال لعموم الشاعرات والمهتمين بالشعر عموما :

هل أن الشاعرات قادرات على عدم الانطلاق دائما من أسس دينية أو عقديّة ضيقة بحث في قصائدهن ؟

هل أنهن قادرات على الانفتاح اللغة الحديثة وكافة مدارس الشعر والاستفادة منها في طرق التجديد والصور المبتكرة؟

هل وصل الشعراء بحكم عددهم الأكثر وتنوعاتهم المختلفة أكثر قبل الشاعرات بمراحل ؟ أم أنهم كذلك ما يزالون في طور التطور والنمو في هذا المجال..

أعتقد بأن الأيام كفيلة بالإجابة على ذلك .

